



## هذا الانقلاب الأخرق

نخطئ ان سطحنا الموقف الذي خرج به الرئيس الاميركي جورج بوش لدى استقباله أرييل شارون ونسبناه، كما فعل بعض المعلقين الاسرائيليين، الى التلاقي بين الحسابات الداخلية لرجلي دولة يواجهان، كل في بلاده، استحقاقات حرجة انتخابية او قضائية. تلك الحسابات لعبت دورها بالتأكيد، لكنها بعيدة من ان تختصر الوعود التي استحصلها شارون من بوش. أولا لأن الموقف الاميركي الجديد يوازي انقلابا في العلاقات الدولية، وتغييرا لمعادلة التسوية السلمية كما صممتها الولايات المتحدة نفسها. وثانيا لأن الحسابات الداخلية ما كانت لتؤدي الى هذه النتيجة لولا اسباب أكثر جذرية. وهي نفسها التي قد تدفع الى المزيد من التدهور، وتفتح الطريق امام انقلابات اميركية - اسرائيلية جديدة.

قد يسعى المسؤولون الاميركيون غدا، مع محاورهم العرب الى التخفيف من وطأة رسالة بوش، بالادعاء ان ما قاله الرئيس الاميركي حول حدود ١٩٤٩ وحصر حق العودة في اطار اراضي الدولة الفلسطينية، ليس الا صدى للتوجهات التي برزت خلال مفاوضات طابا، عشية وصول شارون الى السلطة، او في وثيقة جنيف وغيرها من مشاريع التسوية. ولعل ذلك صحيح. الا ان ثمة فرقا جوهريا بين الوصول الى تسويات في نهاية مسيرة تفاوضية يستند فيها الطرف الاضعف الى الشرعية الدولية، وفرض هذه التسويات كبديل من الشرعية الدولية. وقبل ذلك، ثمة فرق شاسع بين مفاوضات يخوضها طرفان، وان غير متكافئين وبرعاية وسيط غير حيادي، واملاءات يشترك فيها الطرف الاقوى مع الوسيط غير الحيادي، ولا سيما ان "الوسيط" لا يزال مصرا على استبعاد التمثيل الفلسطيني الشرعي.

بيد ان الاملاء الاميركي لا يخص الفلسطينيين وحدهم. فلا يغيب عن أحد ان موقف بوش أتى بعد يوم على استقباله الرئيس المصري حسني مبارك، وقبل ايام من استقباله الملك عبدالله، وكأن الرئيس الاميركي يقول بذلك انه لا يعير آراء حلفائه العرب أي اعتبار.

بل انه لا يعير الرؤساء والملوك العرب جميعا أي اهتمام. فالضعف ليس محصورا في مصر او الاردن، ولعله اليوم السمة المشتركة لجميع الدول العربية. ولا ريب في ان التأجيل المعيب للقمة العربية في تونس كان له أكبر الاثر في دفع ادارة بوش الى خطوة خطيرة كالتالي خطتها. ليس فقط بمعنى ان واشنطن تعاقب العرب على إحجام زعمائهم عن تبني مطلب الاصلاح والتغيير، بل ايضا وخصوصا لأن تأجيل القمة بعد أيام على اغتيال الشيخ احمد ياسين وفي ظل التهديدات الاسرائيلية المستمرة لحياة الرئيس ياسر عرفات، لم يكن يعني سوى اعلان العجز والافلاس.

ذاك هو أحد الاسباب العميقة للانقلاب الاميركي: سلطات وهنة لم تعد تملك الا القدر اليسير من الممانعة لا تلبث ان تبدده في رفض الاصلاحات بحجة انها املاء من الخارج، بدل تجييره من أجل بناء الحد الأدنى من الحصانة في وجه تبني بوش سياسة القوة الاسرائيلية، وانظمة لا تتوانى عن اللعب بالنار في العراق لاعتقادها انها تشتري وقتا اضافيا لنفسها علّ وعسى يفشل المشروع الامبراطوري الاميركي، فلا تنتبه الى ان غيرها لا يحتاج الى مزيد من الوقت حتى يستظل هذا المشروع من اجل فرض برامجه الخاصة، كما تفعل اسرائيل في الاراضي الفلسطينية المحتلة



(وايران في العراق نفسه)، سلطات وأنظمة تؤكد ممارستها الاقتناع الذي تكوّن لدى ادارة بوش ومحافظيها الجدد بأن فلسطين لم تعد قضية العرب المركزية، وان لا غضاضة تاليا من تجاهل حقوق شعبها. فمن يسأل؟

بلى، ثمة من يسأل، او لنقل ان ثمة من يدّعي انه يسأل. فها هو مقتدى الصدر يعلن قبل أيام انه امتداد لـ"حماس" و"حزب الله" وخاطفو الرهائن في العراق يتسلحون باسم الشيخ ياسين. وها هو بن لادن الآن يستفيق على مأساة فلسطين فيتوعد للانتقام لياسين نفسه.

وها هو بوش، بدوره، يسوّغ لكل هؤلاء اقامة هذا الرابط السحري والمضلل، وذلك سبب آخر للانقلاب الاميركي: نزعة امبراطورية كليانية لم تعد تأبه للتفاصيل، بل تفضل اهمالها حتى تستتب لها شروط المواجهة الكاملة. ولا بأس عندها ان بدت المواجهة مع العرب أجمعين، فمن يقيم لهم اعتبارا؟

لو لم يكن الكونغرس الاميركي يمتاز بمقدار مماثل من الانحياز الى اسرائيل، لقلنا: ربما لجنة تقصي الحقائق حول هجمات ٩/١١ المفارقة مريية حقا. فبينما يبحث الكونغرس في اخفاق الاجهزة الاميركية امام "القاعدة"، يأتي جورج بوش ليقدم الى بن لادن المزيد من الجنود، او على الاقل من المصفقين، فيفتح الباب امام المزيد من العنف، في فلسطين وغيرها، فالمزيد من الصلف الاسرائيلي والاحادية الاميركية، فالمزيد والعنف الذي تغرق فيه فلسطين وتتبدد معه احتمالات التغيير حولها.

فعلا، نخطئ ان نحن سَطَحنا موقف بوش من مشروع أرييل شارون ونسبناه الى حسابات انتخابية. لكننا لا نخطئ بالتأكيد ان اعتبرناه من وجهة نظر الادعاءات الاميركية العلنية، موقفا أخرق، ناهيك بكونه ظالما.

## سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>04-Pr-000634</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		هذا الانقلاب الأخرق
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٤/٤/١٦ 16/4/2004
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	جورج بوش - ارييل شارون - حسني مبارك - أسامة بن لادن - احمد ياسين - ياسر عرفات - ملك عبد الله - مقتدى صدر
	<b>Locations</b>	اسرائيل - فلسطين - مصر - اردن - عراق - واشنطن - ولايات متحدة - تونس
	<b>Dates</b>	١٩٤٩
	<b>Themes</b>	اسرائيل - فلسطين - عرب - حق عودة - مفاوضات طابا - حماس - حزب الله - مقتدى صدر - ولايات متحدة - وثيقة جنيف - كونغرس أميركي - أحمد ياسين - مسيرة تفاوضية - حدود ١٩٤٩ - قوة اسرائيلية - القاعدة - جورج بوش - ارييل شارون - تسوية سلمية - قمة عربية تونس - انتخابات أميركية - انتخابات اسرائيلية
<b>Subject</b>		